

محمد أبو زيد

شروع



قوم جلوس  
حولهم ماء





قَوْمِ جُلُوسٍ حَوْلَهُمْ مَاءٌ



قوم جلوس حولهم ماء  
شعر  
محمد أبو زيد

الطبعة الأولى 2006  
© حقوق النشر محفوظة لدار شرقيات 2006



5 ش محمد صدقي، هدى شعراوي.

الرقم البريدي 11111

باب اللوق، القاهرة

ت: 23902913، 23931548

Sharqiyat2010@yahoo.com

غلاف: هبة حلمي

أبو زيد، محمد  
قوم جلوس حولهم ماء / محمد أبو زيد □ ط 1. - القاهرة: دار  
شريقيات للنشر والتوزيع، 2006.  
112 ص ؛ 20x12 سم.

رقم الإيداع / 2006

ISBN -977-283-

شعر □ العنوان  
ديوى 813

محمد أبوزيد

# قوم جلوس حولهم ماء

شعر



دار شرقيات للنشر والتوزيع



حزِينٌ لِأَيِّ لَّا أُبْرِيُ  
الْأَكْمَةَ وَلَا الْأَبْرَصَ وَلَا أُحْيِي الْمَوْتَى  
لَّا أُخْبِيُ الدِّينَاصُورَاتِ فِي حَقِّيْتِي مِنْ الْعَوَاصِفِ  
لَيْسَ لِي جُيُوبٌ أُرِي فِيهَا الْمَطْرَ  
وَلَا عَيُونَ أُعِيرُهَا لِلْعَمِيِّ  
وَلَا مَقَاعِدَ فَارِغَةً أَهْدِيهَا لِلْعَاشِقِينَ  
لَيْسَ لِي حَبِيبَةٌ، وَلَا أَصْدِقَاءُ  
وَلَا قِصَائِدَ رَاقِصَةٌ





كأننا والماء من حولنا



## كأنا والماء من حولنا

رمالٌ مَيْتَةٌ  
مَوْجٌ نَدَلٌ  
مراكبٌ محطمة  
صيادونٌ غرقى  
هلبٌ تخنقه الطحالب  
أسماكٌ مسممة  
سفينةٌ مشروخة  
جثثٌ بحارة فقراء وعمال عمي  
نפטٌ سائلٌ يلتهم أحشاءك  
غريانٌ تتعق فوقك  
وقمرٌ يخيفك بفضته

كل هذا..  
وتقول إنك وحيد يا بحر؟

# حبلُ غَسِيلِ مصلوبِ دمه يُنْقِطُ على المامرة

نعم، أحب الورد  
لأنه يذكرني بالموت  
وأكره الميادين الواسعة، وأخافها  
مرة: تهت  
ومرة: لم أجدني في صفحة الوفيات  
إلا بعد ثلاثة أيام  
المرّة التالية  
أخذت حذري  
طرت فوق الميدان بسرعة  
خائفاً  
من أن تتقب دموعي  
أدمغة المامرة

أريد أن أبكي منذ ثلاثة أيام  
ولم أجد وقتاً لهذا  
في الماضي  
كنت أُصَفِّع شعري  
من المنتصف  
أما الآن  
فسأقطع الجرائد  
والأجنحة  
وسهرات القناة الأولى

أقول لكم  
منذ ثلاثة أيام أريد أن أبكي  
لكنني تحجرت  
ولم أعد أُمَيِّز بين التوائم  
أمس  
لم تُفَرِّق جارتني  
بين التمثال القديم  
في مدخل الشقة  
وبيني  
لكنني حين رفعت عيني

اكتشفت كم هو رائع هذا الصمت  
الذي يُذكّرني بالورد

"الورد جميل  
جميل الورد"  
فلا تبتموا ولا تغنوا  
الأحزان معلقة على الحائط  
كأوسمة قتلى الحرب  
وصوت عقارب الساعة  
لم يزل يوقظني  
الشاطئ بعيد  
والسفينة مثقوبة  
لم أكتشف هذا إلا الآن  
أما صرختي في المقهى  
فلم تكن إلا لتأكيد فرحتي  
بالغرق.





## فُستانُ حملٍ لسيِّدةٍ شَبه متزوجة

-1-

السيدة التي مات زوجها  
في الغربية  
عاري الرئتين  
وبلا لسان في فمه  
يوجّه السائق  
رسمت ثلاثة صراصير مجنحة  
في غرفة المعيشة  
لتخيف العتمة  
أغلقت الباب على شواريها  
سافرت  
تاركة خلفها

ثلاجة كريزي  
ونقوداً مستوردة  
ومحبة مصابة بالسُّكَّر

-2-

لماذا أصبحنا قساة إلى هذه الدرجة  
لا نضحك لإشارات المرور  
ننهر الفئران في أطباق الطعام  
نركب المترو بلا رحمة  
على مرأى الملائكة  
القطن الذي أقنعونا لثلاث سنوات مقبلة  
أنه ثلج يناير  
سنأكله ونحن نتحسس أسناننا  
التي لم تبتهج  
سنركله حتى ننقلب كقطّة تلهو

ثم أكتب:

لست وحدك إذن  
أنا - فقط - وحدي  
كلما اكتسبت صديقاً

أجدُ دمي يُلطخ الحائِطُ  
ويُعرف أن البحر بلا قوارب نِجاة  
وأن الطرِيقَ إلى الكِيت كات  
يُمر حتماً بإبراهيم أصلان

- 3 -

أنتِ فيروز  
تُخرجين الآن من أيقونتك

كعاصفة الصحراء  
تواجهين البرد بجناح وحيد  
ريشه ضعيف.

اسمها فيروز تدخل إلى عزلتي  
تُغيّر لي ملابسي  
وصوتي  
وغدتي الدرقية.

أنا فيروز  
أسكب دمي على يديك  
فتضحكين كالقشتاليين  
الذين صلبوني  
وأطعموك جثتي  
دون أن تنتبهي إليّ  
ولاً إلى حزام الأمان في التاكسي  
الذي قسمك نصفين  
وترك نهدك الأيمن  
وحيداً، ينهنه.

-4-

لم نعد بشراً بما يكفي  
سنصطدم  
في زحفنا بالدمامل والقيح  
سنأكل جثث الذين مازحونا  
حتى التي غادرها زوجها  
ستبدي كراهية مُبَيَّتة لفيروز  
ستضحك من أظفارها

حين يعود الورثة إلى الشقة  
يُفكُّون شوارب القطة من نجفة تكي  
وينحنون ببطءٍ أمام أفواه تستعد للمضغ  
وأنا هنا..

بعد أن انصرف الباص  
أنادي: القيامة.. القيامة  
الموتى: صفوفٌ طويلةٌ طويلةٌ  
ربما أطول مني  
يعرفون الحقيقة كاملة  
ولا يُصرِّحون.

-5-

هنا بالضبط  
عَبَّرَ ماجلان على دراجته  
قاصداً الشهر العقاري  
يُصَفِّرُ للعربات فنتبعه  
للبنات في البلكونات فيطرن خلفه  
للقلوب  
فتهجر الموتى وتجر دماءها في وهن  
لي

فأتمطى حتى تصطدم رأسي بالسمااء  
ماجلان ليس هو الأعرج  
في القصيدة السابقة  
ولأ هو زوج السيدة العذراء  
التي في أول هذه القصيدة  
ماجلان  
يا فيروز وحيد  
لكن قلبه مخطَّطٌ  
كالسلاالم الكهربائية  
ككراريس الحكومة  
فوق كل حَطِّ دبابَّةٍ وجنديٍّ  
تحت كل خط  
دمي ينهي القصيدة.

ڪم جناحاً لك يا ميرفت؟





سيقول الأشرار

إنني أتحدث عن ميرفت عبد العزيز بالتحديد

-1-

وداعاً:

الكلمة التي تقال دائماً  
في بداية المناسبات السعيدة  
التي نقولها ونحن نبتسم  
ونحن نتأبط أقدامنا الخشبية  
سائرين كالأسرى  
بجباهٍ  
نقتات من الأرض.

-2-

لم أحك لكم أمس عن ميرفت  
ولا عن "أعظم قصة حب فاشلة في التاريخ"  
ولا عن ملاكة بلا جناحين  
لم أحك لكم أمس عن القتل والدم والجمام  
والأحبة  
لأنكم لم تكونوا هنا.

-3-

وداعاً..  
منذ سنوات يا ميرفت  
وأنا مُلقى هنا  
ملايسي صدئت فوق دمي  
أدوات التعذيب لم تعد كافية  
الغابة خارج البيت بلا حارس  
والبيت بلا سكان  
قلبي وحيد  
لكنني حين عبرت من الحائط

كنت أدرك تماماً  
أنني أصبحت أكثر حكمة  
مما مضى

-4-

هل كانت طويلة  
هل فُوجِئْتُ بذلك  
وهل لما رأَت السحابات قريبة منها هَدَدْتُ بالغناء  
منذ متى وأنتم هنا  
وأنا أفشل في قصص الحب  
وقص أظافري  
وكتابة الرسائل إلى الأحياء؟  
أدرك أنني  
لا أجيد العدو  
ولا قدمان لي  
ولا طريق أمامي  
لكنني راغب في الفرار

-5-

المصعد الذي تعطلَّ  
لم أكن أستخدمه  
لأنه منذ زمن  
لم يرد عليّ تحية المساء  
أو يدعوني إلى منزلي  
سرق معطفي  
طعام قطتي  
وأوصى التاكسي  
- التاكسي الذي لا يسير -  
أن ينطلق بسرعة هذه المرة  
حتى لا أرى عينيها خلف الزجاج  
وهما تشبهان إلى حد كبير  
ناجي العلي.

كانت تخفي الإسفنج في عينيها  
وكان وجهها يشبه البحر  
بكوفية خضراء  
وابتسامة لجوليا روبرتس  
لم ينادوها يوماً "يا ميرفت"  
وكنت أسميها المائبة  
قلبها يبين تحت البلوزة  
به شوارع وآباء يتامى  
ومراكب من أوراق الصحف  
ليست من هنا  
ولا من هناك  
ليس لديها مرآة في البيت  
ولم يرها أحد  
لا تتركب الطائرات ولا حافلات العامة  
لا تطير ولا تسير  
عينها تشبهان نساء القرن الخامس عشر في غرناطة  
والملاحم الإغريقية  
وكراريس الأطفال في رام الله  
تشبه السفائن التي تخرج من حواديت جداتنا

ولا تعود  
لا تحمل العشاق  
ولا تحفظ قصصهم  
السفائن التي تغرق عادة في منتصف المحيط  
قبطانها لم تُسمَّه أُمَّهُ "نوح"  
ولم تعلمه حبيبته  
كيف يرقص التانجو

-7-

حزني أكتشفه عادة  
مع دقات المنبه  
ومنذ قررت أن أُحصي هزائمي  
توقفت عن السباحة  
عن تفسير الماء بالماء  
عن السير برفقتك إلى آخر الجنازة  
يتبعنا ظلٌ وحيدٌ  
ليس لك

أما ميرفت  
فلا تسير حين تسير  
لا تأكل  
ولا تخفي في حقائبها الحبق  
لا ظل لها  
وتزداد نحولاً  
تحكي عن الأطياف والموتى  
وتعرف الملائكة بالاسم  
لأنها تتحدث كثيراً مع الله.

ثم سيتساءل الأشرار:  
ومن هي ميرفت عبد العزيز؟

البنطلونات الجينز  
حذاء سنديلا الأحمر  
الوطن المعلق على الصدر  
العيون التي تبكي حين تضحك  
الشعر الذي يراقص الهواء فيُسكِرُهُ  
فَمَّ يُصاحب الضحك  
وأنف يتجمد في الشتاء  
فيسقط على الوسادة كرضيع منهك  
قدمان بينهما وبين الأرض  
مساحة لأبناء الجاذبية  
خمسة عصافير في كل يد  
كاباتشينو في الهناجر



وقطط متوحشة تُخيف في كافيتيريا المجلس  
الضحك على شارع وادي النيل  
أفلام يسري نصر الله في Town house  
"انت فين ياعم"  
البكاء على المعزين  
"نقل فؤادك حيث شئت من الهوى  
ما الحب إلا "اللقنيل" الأول "  
السحابة التي لا تمطر للعطشى  
ولا تحرمهم رؤيتها  
"هل تحب باولو كويلو؟"  
قميصها تركوازي حين تمزح  
فيرونيكا التي قررت أن تحب السينما  
التي لها ما لها  
وسبع سنبلات خضر  
وقرينة في العالم الآخر  
التي حين تنام  
يَحْضُرُ سريرها  
يحرسه الأطفال  
وتورق حوله الملائكة  
التي نادتها إيزابيل الليندي:  
يا باولا!

أيها الأشرار  
هذه هي ميرفت عبد العزيز.

## حتى يرتاح الأشرار

(1)

هل أَغْلَقْتَ الأبواب والنوافذ  
والقلوب؟  
هل أَشْعَلْتَ المدفأة  
وَمَنَعْتَ الملائكة من الدخول؟  
هل شَرِبْتَ الشاي وحدك  
مازَحَّتْ وجهك في المرأة  
تَرَكَتَ الماء يغلي  
حتى يستغيث؟  
هل بكيت جيدا؟

(2)

الصبر لم يعد مفتاحاً لأي شيء  
فلم تزل كل الأبواب موصدة  
والشيوعيون الذين عبروا من السقف  
لن يجدوا ماركس في آخر الممر  
سيارات الأمن ستحيط بالأحبة  
على الكورنيش  
ستحاصر "ماسيجات" الحب  
ودعوات العشاء  
وباعة الياسمين  
لن تسمح للضفادع بالنقيق  
الجراح لم تزل مفتوحة  
وليس ثمة نصل يزيد لها اتساعاً  
والدم الذي تقرءونه الآن  
سال من عيني  
من فمي  
من أصابعي  
لكنني لا أجيد السباحة  
ولا الغرق

(3)

أما الحزن الذي يتدحرج من فوق الجبل بسرعة  
فاتركوه  
فلن يأتي طائرٌ خرافيٌّ اسمه الحب  
لكي يداعبه بأظافره  
لن تحببهِ السماء برعدها  
لن تغني له البدوية العجوز  
ولن تحكي له عن الشاطر حسن  
سيتركونه  
- الأندال -

ليتدحرج بسرعة أكبر  
حتى يصطدم بالأرض  
في انفجار لا يُشبه  
الضحكات العالية  
ولا الهرج في الخارج  
ولا انفجارات الألعاب النارية  
في ليلة رأس السنة  
تلك التي أَسَمَّعَهَا وحيداً  
في سريري.

(4)

منذ ثلاث سنوات  
كتبت قصيدة تشبه هذه  
ربما هي القصيدة نفسها  
لكنني لم أقل فيها إنني حزين  
لم أقل أيضاً إن  
الذين علّقوا النجفة من يديها  
لم ينتبهوا إلى دموعها  
التي تضيء الحجرة  
لم ينتبهوا  
إلى أقدامها التي ترتجف من البرد.

(5)

عين واحدة تبكي  
والأخرى تتفرج عليها  
ثم يد تتشبث بالأنف الثلجي  
كي لا يسقط  
وشعرٌ يشبه قوس قزح  
(جميلةٌ عيونك يا ميرفت)  
كان لي وجهٌ  
ويدان  
وشرابين وبنكرياس  
كان لي قفص صدري  
وبيت  
ودار للأوبرا  
كان لي أصدقاء.

(6)

عذبيه جيداً  
ثم اقتليه  
علقي جثته في صالة السينما  
ثم قولي للصقور التي أحاطت بدمه  
كم كان مذنباً  
وغنى للعاشق والمارق والصابئ  
وابن السبيل  
لكم كان محتالاً  
لا يجيد الدخول من النوافذ ولا الحوائط  
لا يحمل مفاتيح للأبواب  
لا يعرف الجبال من البيد  
ولا الشياطين التي كالبشر



(7)

"الوطن أفسى من الموت يا ميرفت"  
ليس هذا ما أريد قوله  
منذ زمن طويل وأنا لا أعرف ماذا أريد  
الموسيقى مصلوبة على جدران البيت  
رأسها مطأطئ  
والدموع تصعد إلى عينيها  
وسعاد حسني في فيلم "الكرنك"  
رفعت عينيها مستجدة بالموسيقى  
ولم ينقذها أحد  
رفعت يديها  
فأغلقنا التلفاز

(8)

الذين أحببناهم  
لا يشاهدوننا في مرائهم  
والذين أحبونا  
غنينا لهم  
"يا مسافر وحدك  
وفائتني"  
رغم أنهم  
لا يحبون عبد الوهاب.

(8)

لا داعي لأن تكرري: نحن إخوة  
نحن كذلك بالفعل.

أما الحب

فهناك أكثر من طريقة للتخلص منه:

1- المشنقة

2- مصادقة الأشرار

3- إغلاق الأبواب

4- هذه القصيدة

(9)

افتحوا الباب  
لقد اختلفت.

## المجستابو

قصائد الحب تبدأ عادة  
بقمر يخنق حديقة  
بعنكبوت يموت إكلينيكيًا  
بدمي يجر دبابتين  
على أسنان دراكولا  
فيما أسير في طريق طويل  
لا تعترضني فيه سوى  
جنازة مرحة  
تسأل عن الطريق إلى رمسيس  
فأرفع يدي وأشير إلى هولاء  
يغلق التلفاز  
ويغير موضع المحبة في مقدمة الشقة  
ولا يعرف ميرفت عبد العزيز

الحانة التي خلت عليّ  
سأقاطعها  
والذين كتبوا على الحائط "للذكرى الخالدة"  
سأبادر بنسيانهم  
فور عبوري الشارع  
والذي قتلنا في النادي اليوناني  
سأوصي الخواجة "يني"  
ألا يعطيه من البسبوسة التي  
يخبئها في المطبخ من النازيين

الآن فقط أستطيع أن أكتب  
فلا أحد هنا سواي  
انصرفت الملائكة والشياطين  
وجهي أزرق  
الماء تبخر من البراد  
ولا شاي في حوزتي  
وقطتي تغفو خارج المنزل  
في فم أفعى مُرْفَهة

أريد أن أفعل أشياء لا طاقة لي بها  
أريد أن يدهسني قطار  
أن أبكي كالمجنزرات  
أن أقتل، أن أدمر، أن أضحك  
أن أزرع فمي بالديناميت  
أرفع يدي للتحية  
فتتطاير الأصابع  
كقاذفات اللهب  
أمشي فتخلف قدمي  
آباراً وحفراً وبالونات مقتولة  
أضحك فنتتقاذز الدموع  
فوق الطاولة كقرد قعيد

أيتها السماء التي رعتنا طويلاً حتى عرفنا  
ميدان العتبة وال pass word  
وطعم الدماء  
هل يجب أن نتعذب طويلاً  
حتى ترضى عنا القصائد؟





جثث قديمة

2000-1999



## جث وحيدة

(1)

أيها الغرباء  
أحسنوا ضيافة حزني  
فهو طيبٌ كحمامة  
هادئٌ كصنم  
مسالمٌ كميتٍ

(2)

أيها الغرباء  
سأمهلكم قليلا  
كي تستنشقوا أغاني قادمة  
من الصحراوات البعيدة  
كي تشموا عرق القطارات  
كي تعانقوا الحقائق الراحلة  
نُحْمَلونها بقبلاتكم  
وبأحلام ميتة  
للصغار

(3)

الذين كرهوا القعاد  
والسهاد  
والبعاد  
لم يستطيعوا أن يرحلوا رغم ذلك  
علقوا مشانقهم

في ضفائر النساء الملونة  
صلبوا جلايبهم في الميادين الواسعة  
أحرقوا سميرتهم فوق كوم من لفافات التبغ  
ربما بحثاً عن حوائط صلدة من الدفاء  
وأرغفة من الفضة  
وقصائد غزلية في الإسفلت  
الذين فعلوا ذلك  
هل كانوا أنتم؟

(4)

إذن..  
حاولوا ألا تتذكروا أولادكم  
ولا غبار شارعكم  
ولا نكتة ألقاها جنى  
فضحكتم عليها حتى الصباح  
ولا القلق ينبت في أعينكم  
وأنتم تنتظرون  
خروج زوجاتكم من غرف الولادة

حاولوا ألا تتذكروا مقهى بلدتكم  
ولا حلاقها الذي يجرحكم متعمداً  
فتنزفون ضحكا

.....

.....

أيها الغرباء  
أشعلوا في ذاكرتكم النسيان

(5)

لا تشتروا جرائد الغد الآن  
ففي بلادكم تقرؤونها في موعدها  
وليس في الليلة السابقة  
حاولوا ألا تركلوا السيارات  
فهي عنيفة كذئب  
وأنتم طيبون  
طيبون كسحابة  
سُرقت منها الأجنحة

(6)

أصدقاؤكم الموزعون على المقهى  
سوف يملون سريعاً  
ولن تختلفوا كثيراً  
فيمن سيدفع الحساب  
وأى طريق  
يجب أن تتبعوه كي ترحلوا  
ربما على المقاهي  
ألا تسخر من جيمكم المعطشة  
وشايكم الحبر  
عليها أيضاً  
ألا تعيد توزيع الكراسي  
حتى لا تتوهوا من بعضكم  
في المرة القادمة

(7)

أيها الغريباء  
اعتقد أنكم سمعتم هذه الصرخة منى من قبل  
ربما لم تنته من ساعتها بعد  
ربما تمطرني السماء على وطن  
مُنْهَكِ كحلم  
ربما يقتلنا الحنين إلى بيوت طينيةٍ  
وحبيبات بعيدات  
بعيونٍ سوداء واسعة.



## قبورٌ ملونةٌ تصلح للدفن

(1)

أيتها المدينة الخائفة منى  
أنا خائف منك  
من عيونك التي بلا نوافذ  
من عروق يديك التي ترتجف حين تصافحني  
من أظفارك المطلية بدمى  
لذا  
سأغزو الهواء  
لأصل إلى عينيك وحيداً  
وأنا  
احسب المسافة بين قامتي  
والشرفة.

(2)

الشمسُ  
لماذا لم تعد تُمشط للحجرة حزنها  
وآية الكرسي المعلقة على الحائط  
لماذا لملت ملابسها  
ورحلت  
دون أن تخبرني  
والأطباق التي امتلأت بالجمام  
لماذا تلهمني بالجوع  
بسقف يئن  
بقبر يملك نافذة جميلة  
وأشجاراً ملونة  
تبتسم دوماً

(3)

وحيداً بما فيه الكفاية  
كدودة قز في فم ثعبان

أتذكر أحياناً  
أنني يجب أن أنسى  
أن أصادق عيون المصابيح المفقوءة  
والجراد الذي يتجشأ الأرصفة  
والشوارع التي تمط شفيتها  
ثم تطلب كأساً  
من الخمرة المعتقة

(4)

أحياناً  
انفخ في زجاج المترو  
حتى يجيء البخار  
فأكتب اسمي واسم قرיתי  
بحروف منمنمة صغيرة  
ترتجف من الصقيع  
أحياناً  
أرَبَّتْ على أكتاف المراكب  
التي تعبر النيل راحلة للجنوب

وأنا أغمس عينيَّ  
في أكواب البكاء .

(5)

مغذب  
تائه  
صعلوكُ بنفس القدر تقريباً  
كغبار قديم  
كعش بين كفى حريق طازج  
أسير كنافذة مغلقة العيون  
وأبكي كصباح فاجأه الرعد  
وأرحل كقصيدة تافهة  
كربيع لا يرتدى فساتينه الزاهية  
تأمرت على النجوم  
والسيارات مسدلة الستائر  
والبابيونات السوداء  
ومصاعد البنايات العالية

(6)

لم أعد أجالس مقاعد المقهى  
المغلق  
ولا كتبي ذابلة الخدين  
ولا دبابيس شعر الفتاة  
التي تجلس أمامي في الحافلة  
خاصمت جميع الأشجار مُحدِّبةً الوجه  
وعيون الشوارع المغرورقة  
بالنسوة

(7)

فقط  
أريد أن أشتري  
بعض الكذب لفمي  
وبعض التثاؤب  
كي أستطيع أن أرقد  
على أرصفة  
لا تنتهي العصافير

(8)

فقط

أحلم بمن يخبرني

عن المسافة بين الحزن وعينيّ

عن بكاء السحابات الجنوبية

عن أحلامي مجعدة البسمة

عن أيكم

أكثر حماقة مني

أكثر غربة مني.

## أثناء عبوري الطريق

سلفادور دالي  
رسمني في المرة الأولى  
برجاً للحمام.

في المرة الثانية  
رسمني قبائل من الهمج.

في المرة الثالثة  
رسمني سحابة بلا أجنحة.

في المرة الرابعة  
لم يرسمني  
فقد مات أحدنا.



## تلصص

حين همس لها بكلمة  
تتسلق جدار المراهقة  
أغمضت عينيها في حياء  
وهي تتلقف الكهرياء  
في الذاكرة  
حين فتحت عينيها  
ذهلت من راكبي عربة المترو  
الذين تشوفهم  
. ربما للمرة الأولى .  
بضفائر موسيقية

قبل محطة سعد زغلول  
حين ينسى السائق أن يضيء العربة  
ستتسلل قبة إلى وجنتها  
فتضيء ذعرها  
وفستانها الثرثار  
بينما الدهشة تتأهب لمغادرة عينيها  
ستتسى النمش الذي  
يداعب وجهها إلى حين  
فيما قناديل عينيها  
تهديها عصافيره  
وصوره المختبئة في كراريسها  
وأوقاتاً حريرية

العربة مظلمة  
في غير اكرات  
الملائكة  
يهزون أجنحتهم  
. ربما . في ترقب  
الركاب  
يهزون كالدمى  
وأنا وحدي .. أبصُ عليهما

كل هذه الحماقات تصدر منى

الحلم كان سائراً  
هكذا

فمن منا إذن أعاقه  
القصيدة كانت كاذبة جداً  
القصيدة كانت صادقة جداً  
هل كان يجب أن  
أقول/ تقولين.. شعرا

هكذا..

سنعرف أن العطش نبع  
من بين أصابع الحاقدين

وأن البنت البيضاء ككفن  
لم تكن تحب مصاصي الدماء  
ولا الوسادات المتسخة  
ولا أغنيات أم كلثوم  
وأحياناً  
تكره ليالي الشتاء

أعتقد أنه في ذلك الوقت تحديداً  
كانت الخيول  
تشرب البيرة في ابتهاج  
بينما الشوارع تصنع حدوات للسيارات الـ B.M.W  
فأشعر بالذنب  
كهذا الضوء الذي يصل في أعيننا.. جائعاً  
لذا لن نهتم بمحطات المترو  
التي تتكئ في عنف على أصابعنا  
ونضحك

حنان ماضي  
ومحمد منير  
هما السبب  
.... أقسم على ذلك.

السلام كانت تنتظرنا  
كي نهبط في هدوء  
والإسفلت  
. ربما لأول مرة .  
يرقص مبتهجاً  
لماذا إذن  
ثغرك يصمت  
ونظرتي  
لماذا ترتجف بين ذراعي عينيك

دعي البكاء يُحَلِّقُ قليلاً بيننا  
فجلايبب القصائد  
ليست فضاضة دائماً  
لذا  
سوف نعبئها بابتساماتنا الخائبة  
وبجنازة هذه القصيدة بالذات

الذين كانوا يسحلون الورد  
كانوا ينظرون في عيوننا

بيتسمون بطيبة  
كأنهم يمارسون بديهياتهم

الذين لَوَّحت لهم السماء  
وبخرتهم بغيومها  
وهم عراة يرقصون  
ثم رفعتهم إلى حضنها على براق مُدْهَب  
لم يكونوا نحن  
لذا من حق هذه القصائد أن تذبجنا  
وتشخذ سكينها من عيوننا  
وتتحنني في رقة  
قبل أن تتصرف.

متحف الشمع هذا.. ولد خطير  
وتمثالي يتجمد كل يوم  
لا تجيئي الآن  
ارحميني من الحرارة  
لا أريد أن  
أنسكب

لماذا إذن ابتعدت مهرولة  
وأنت تشوطين السحابات في عنف  
من تحت أقدامنا  
شيء مريبك أن يحدث هذا  
لك  
أن تهذي به  
شيء فاضح

أبعدي عينيك عن التمثال  
وإلا.. قتلتك

الذين يملون سريعا سينفضون الآن  
ولن يبقى سوانا  
كل في منفاه البعيد

الجزر الملونة سنصل إليها  
عندما ندخل الكرايس  
سنضحك كثيراً جداً  
ولن نبكى إلا  
حين يغلق الأطفال كرايسهم  
وينصرفون إلى اللعب

أحياناً  
أتمنى أن تسأليني  
"حكيم روحاني حضرتك؟"  
أحياناً  
أتمنى أن أغنيك  
أحياناً أتمنى أن اصرخ  
كعود الثقاب حين يشتعل

بئر السلم لم يعرفنا مثل كل العشاق  
ولا الأسطح  
ولا حتى الرسائل المعطرة  
حين تظلم غرفة الكلام



نخشى أن نبل أرواحنا  
بالنزيف

محمد  
اسم جميل جداً عندما تتطقيه  
الواحد لن يحمل اسما كهذا كل يوم  
الواحد لن يسمعه بهذه الطريقة  
إلا منك

يا بنتُ..  
كم من الوقت يجب أن يمضي  
حتى أكتشف  
أنني أحمق.



سوف أهذي



## ينادونني في الشارع: يا ميت

سوف نكبر  
ونصبح مثل الذين نأسى لهم الآن  
سنخاف على أولادنا  
وسيكروهون ذلك  
لن يقوم لنا أحد في الباص  
لن يساعدنا أحد في صعود السلم  
لن يدعو لنا أحد بطول العمر  
ستختفي العصي  
ونسقط من دونها  
ستضحك المراهقات بعنف من صلعاتنا  
ويدفعنا الشباب لكي نكح  
حين يمر كعب عال  
سَتَرُّصُّ الممرضات أجسادنا

على البلاط  
ويُغْرَقُ وجوهنا دُمُ الحيض  
ستطردنا المستشفيات  
وبيوت المسنين  
ودور العبادة  
سيزداد العالم سوءاً  
ونفكر كثيراً في الرحيل.

منذ سنين طويلة  
وأنا أفكر في الموت  
أجلس وحدي  
لا أدخن  
لا أشرب القهوة  
لا أنام  
أراقب شعري وهو يبيّض  
أسناني وهي تتساقط  
ملاححي وهي تسيل  
على جانبي وجهي.

العيال العفاريت  
سيرقصون من سقوطنا  
والسيارات المارقة  
سُغَيِّرُنَا بدمائنا  
والأرصفة...  
نعم، الأرصفة ستختفي  
ويمتلئ الشارع بالقتلة  
لن نجد مكاناً لنا  
وسنعجز عن الطيران.

منذ زمن وكل أصدقائي  
أطول مني  
لم أكن أحقد عليهم  
غداً  
سينحني كل أحفادي ليكلموني  
وأنا مستمتع بقامتي القصيرة

ستزداد صفحات الوفيات في الجرائد  
وتغزو العناكب والخفافيش  
والعقارب التي نخافها  
عربات دفن الموتى  
نعم  
سنصبح بلا عيون  
بلا عدسات ملونة  
بلا رغبة في دخول مسابقات الجري

كَبُرْتُ  
أصبح الأولاد ينادونك  
في الشارع: يا عمو  
أصبح لك شارب  
وصيحة تخيف الكلاب  
لم تعد تشرب اللبن  
لم تعد تضحك على الكارتون  
لم تعد ترتدي "المريلة"  
لست أقصر من أبيك  
صوتك أصبح سيئاً في الغناء  
تذوقت لسعة الحب



وثقبت قلبك  
حتى تفرغه تماماً من النبض

قل لي:  
لماذا لم تتم منذ أسبوع  
لماذا أنت محني الظهر  
بلا صديق ولا حبيبة  
بلا عصا تدلك على الطريق  
بلا أسنان تصنع الابتسامة  
بلا هاتف يرن ليطمئنك أن في الحياة خيراً  
أم أن أربعة وعشرين عاماً  
أكثر مما يجب؟



يفعلها كل مرة منفردا

لم يكن يشبه علي الشريف  
في فيلم "العصفور"  
حين تمدد في المقبرة  
. أثناء البناء .  
وقال:  
أنا أطول واحد في العائلة  
قيسوا طولها عليّ .

ملابس الجيش التي كان يرتديها  
حتى بلغ الثمانين  
ليبدو مموها  
كانت تُسْقَطُ الرمال والودع

وماء القنال  
وكان يحكي  
أنه رأى عبد الناصر في المنشية  
ولم يُسلّم عليه

لم يكن يعرف يوسف شاهين  
لم يحب الزيت في الطعام  
ولم يردد يوماً كصوفي  
"لا تعترض فتتطرد"  
لذا

حين رأى الباب مفتوحاً  
مرق خالغاً حذاءه  
حتى لا يسمع نحيبه أحد.

الطائرات التي أخفاها عني وأنا صغير  
مدعياً أن الملائكة تحمل فيها أعمالنا  
نسيت أن أخبره  
أنني اكتشفت مقبرة الطائرات  
خلف المنزل

أنني لم أجد ملائكة  
مرهقين من العمل.

يحكي  
كمن يحب الإسكندرية:  
ضربونا بـ "البمب"  
فأطاروا الشبابيك كفراشات  
تصفق  
وتهتف لهتلر  
ضربونا بـ "البمب"  
فأصبحت ذاكرتنا  
أضعف من جرو  
وحجراتنا عارية.

آخر مرة قال:  
الآلهة تعرف مكانتها جيدا  
نفض ساقه التي نملت:  
"لم أعد مجدياً لأحد"  
ارتدى جورب حفيده الملون

شرب عصير المرضى  
ليس جسده المموه  
وضع شريطاً أسود أعلى كل صورة  
وخرج

أيها العمال الحمقى  
يا من لا تخافون الله  
يا معدومي الذمة  
لقد وجد المقبرة  
أقصر من جسده.

## في كل ما حدث لا أتهم إلا غادة نيل

إلى "المتريصة بنفسها"

الخلود والموت  
من الذي يقود الآخر كالأعمى  
إلى المتاهة  
سأكتب كلاماً كثيراً بلا معنى  
الحياة عرجاء  
والحجرات المغلقة  
ليست مناسبة دائماً للحكي  
فالجدران تمل  
الهواء في الخارج جميل  
حتى لو كانت السماء  
نقصنا بأقطارها.

أنا الذي مررت هنا من سنين  
كانت البعيدة مقفرة  
ولم يكن هناك من ولا سلوى  
فقط جبال ترتعش من الغضب  
أنهار مسممة وعسل مُصْفَى  
الشيخ الذي قرأ القرآن في ميّتي الأولى  
كان يحب ميج رايان  
وحكى لي عن دموعها في فيلم لم يشاهده  
بكي كثيراً  
قبل أن يدخلني المقبرة  
الطريق ليس ممهداً  
لكنني في المرة القادمة  
سأعد لكم الينسون  
لكم أنتم جميلون  
لكم أنتم رائعون  
حين تنصرفون بدوني باكين

أريد أن أكتب عن الوطن  
عن الحزن  
عن حبيبي



لكنني وحيد ومنفي  
في حجرة  
في سرداب  
في قلعة  
في جزيرة  
في كوكب أفسد أخلاقه القمر  
أتطلع من النافذة  
وأعد قضباناً  
كل ليلة تزداد واحداً  
كل ليلة تنقص بقعة الضوء في الحجرة  
كل ليلة أتضاءل  
ويزداد عدد الجثث في المدفأة

فاتن حمامة التي ستموت في آخر الفيلم  
ستجعلني لا أرى باب السينما  
لأعود إلى البيت باكياً  
دمعتي في حقيبتني  
ويدي تقبض على الصراخ  
في الرابعة صباحاً  
سأتحسس ببطء  
جثتها المسجاة جوارى.

هي التي أسقطت الستائر  
ودعت الناموس إلى الجلوس قدامها  
على الأرض  
ألصقتني بالحائط  
أتحسس دمي  
الذي أنبت عنباً وأباً  
أما التي آمنت بالحب  
فالطريق إلى اسطنبول غالباً  
سيجعل الحذاء مهترئاً  
خاصة وأن "محمود" - الذي لا تعرفونه -  
مات أيضاً  
المطر الذي أسقطوه في البركة  
قفز فزعاً  
عندما لامست البرودة جسده  
أما القرصان  
فقد حيا البحر بخلع شاربه وبكى  
اعتن بنفسك يا بني  
ثم اترك دموعك تغسل الممر

امنح القرصان روحك في هدوء  
القرصان المسكين  
الذي فقد قلبه في حادث تصادم  
القرصان الطيب  
الذي لا يجيد قلي السمك  
ولا قيادة السفن.

رعدة أعينكم جعلتني أستيقظ  
أتعثر في دم المنبه  
أراكم جيداً  
عيونكم مفتوحة إلى آخرها  
أفواهكم مغلقة  
وتبكون من أصابعكم.



## مقصوفة الرقبة

اسمي نسيته  
لكني لص في المغارة  
زوجك  
سرق دميتي  
جراندي  
جوربي الوحيد  
فرشاة أسناني  
ودخل التاريخ

أنا ابن الصدفة  
صديق الكوليرا  
الغيوم حزني المفضل

حمارتي عرجاء  
لا تشرب الجعة  
ولن تقوى على حملك  
ضال  
ومذنب  
وأكتب الشعر  
قدور عسلي منقوبة  
والعسس يضحكون  
أرقب الساحر يضع الوردة في فمه  
فيخرجها وردة  
لتضح القلعة بالتصفيق

أنا الغريب الذي لا تعرفينه  
أخاف من الظلام  
وعلي بابا  
ومنك يا مرجانة  
من قلبك  
وزيته المغلي  
في المرة السابقة وجدت فأراً في قدري  
لم يُنمني الليل

في مرة أخرى  
وجدت صورتك  
نقية كمن لا يعرف السرقة  
طاهرة كالعاشقين  
نظيفة كأنك استحمت هذا العام  
أظفرك طويلة  
وحجرة نومك مزدحمة

أنا الولد القديم يا مرجانة  
تاجر الياقوت والذهب  
صاحب الدراهم الممسوسة  
أقود أصحابي إلى قدورك  
كي يروا صورتك على الجدران  
أصحابي الـ39  
خبثوا مني نكاتهم  
سموني المجنون  
أنسى المجوهرات في بيت القاضي  
وأهديك كلمة السر  
وأنسى أن أصبح في فرحة  
" ذهب "

ياقوت  
مرجان  
أحمدك يا رب "

خمسة مقاطع مرت  
ولم تبليغي الشرطة عني بعد

تتامين مثل طفلة مقتولة  
ابتسامتك مقرزة  
وجهك كالغولة  
عيونك شواء  
تفر من جسدك الفراشات  
يحميك إخوتي  
وأعدائي  
ورجال الشرطة  
وتكرهيني

كان يجب من البداية أن  
أحقد عليك.





قَوْمٌ جُلُوسٌ حَوْلَهُمْ مَاءٌ

أعتقد أننا قريبا من البحر  
وأن الذي بيننا لم يزل بيننا  
وأنه بإمكاننا العبور  
بجوار صوت عبد الناصر دون أن يلمحنا الهواء  
أعتقد أن القصيدة بدأت  
وأنا أصرخ خلف طيفك  
في أول شارع النبي دانيال

طبعاً لأننا قريبا من البحر تقولين هذا  
مع أن أي موسيقا أخرى في موضعك  
كانت ستعدل من قرطها المزيف  
وتتأكد من ملح المكرونة

قبل أن تتركني هكذا  
بلا عائلة  
بلا أصابع في يدي  
بلا خوفٍ مُلَوَّنِ كَفَسْتَانِ عِيدِ

هل تظننني أن البحر سيحميك؟

جدتي منذ أن مات جدي  
تخشي الظلام  
مع أنها في غارات هتلر  
لم تصرخ  
عندما سقط الشباك صريعاً  
تحت قدميها  
ولم تخف طوال عمرها  
من الفئران  
والصراصير  
واللذان سرّقا بقرتها في السبعينيات  
ندما كثيراً  
لأنها قرأت فيهما عديّة ياسين  
أحدهم وجدوه منتحراً  
الثاني لم يجدوه أصلاً

أما جدتي  
فمنذ موت جدي  
تهتم بإغلاق الباب الخارجي  
تطفئ المصابيح خوف الغارات  
الذي أخمه الآن  
أنها تشتري سمّاً للفئران  
وبودرة للصراصير

لديه ما يكفيه وزيادة  
أب  
وخالة  
وزوجة لم تصب بالصرع  
وأولاد عم لم ينازعه في الميراث  
وبنت كالقمر  
سمتها أمها "مريم"  
- نسبة للسيدة العذراء -  
أما المحبة  
فأصحابه أصابوا الهاتف بالإرهاق  
و قبر أمه يزوره كل جمعة



من السمو  
فنسيت أن أرفع يدي  
نسيت أن أكتب عن المقهى

لم أعد أعرف بالتحديد  
لماذا تصرين كل مرة  
ولماذا أترجع  
أما تأخرتك في المطبخ  
فسيربك حتماً  
إشارات المرور

الذين ذهبوا مع الفجر  
أخذوا مشاعرهم معهم في أكياس بلاستيكية  
ونسوها في عربة السجن  
لأظل وحدي  
بلا قطة تمر أمام قدمي  
بلا أسنان في فمي  
فقط  
أفتح النافذة  
وأقهقه كعاقل

سامحيني  
فالتأثرات بعيدة عن يدي  
ولم أعد أتق بالبدو  
البنادق لونها جميل  
والأحجار أجسادنا  
فكيف نعدو  
ونحن بعد  
لم نتعلم إطلاق الرصاص

يهودا في درعه الواقي  
يتسلق الأكسجين  
ينظر ليوسف شاهين ويقهقه  
يركل المطر بأظافره  
المطر الوحيد  
المطر الذي لم يجد من يُمَشِّط له شعره  
وَحُلُهُ قاسٍ ومدبب  
يده تمتد إلى وجهي  
فلا أجد عيني  
فقط دمائي تتقاطر  
تتقاطر  
ولا سمك يتعلم العوم.



البحر خدعة يا ابنتي  
فجهزي البئر لاستقبال المصطافين  
يمكننا أيضاً أن نبيع لهم  
حكاياتنا القديمة  
بدلاً من ركنتها في تترات الأفلام  
بالأمس دعوت ظلي للدخول  
وتركتني بالخارج  
أجهز ليلاً على مقياس نومي  
أما يدي التي نسيته في المقهى  
سيمر حتماً أخطبوط طيب  
وابن ناس  
فقد ذراعه في الحرب  
ليصافحني

قصيرة طبعاً  
ليس هذا هو الذنب الوحيد لك  
هناك يهوذا يهرول من الشباك إلى المطبخ  
قدماه تلتخان السقف  
وظلاله تخيف المشيعين  
وتجفف البحر الذي أغذيه  
بدمي .

غنِّي عن الذكر أن الصراصير هنا  
تزحف فوق المقعد  
وأن السماء رحيمة بنا  
لأننا لم نجد الدم في الأكواب  
والأصابع في عيوننا  
والجراد والقُمَّل والضفادع  
في كوبي ليمون  
لعاشقين غائبين عن المقهى

البحر صوته جميل  
خاصة عندما يقلد نجيب الريحاني  
البحر سينتزع ضحكاتنا  
لاسيما لو بكى

الأشياء التي نحبها  
لم تعد واحدة  
وكتبنا أصبحت نوعين  
نشذ نظرات الآخرين المُرَبَّبة  
وعيناك  
ستصرخان في سماعة الهاتف:  
قلوبنا جاحدة.

هل ابتعدنا عن البحر؟  
أنت السبب.

